

(بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدي رسول الله)

المحور 1 : البنيوية التكوينية المفهوم والتأصيل

تقديم

ارتبطت البنيوية التكوينية باسم **لوسيان غولدمان**، الذي يعبر على تسميتها بالمدرسة، بهدف تأسيس منهجية نظرية خاصة به، تشرح العمل الأدبي في علاقته الداخلية، وتدرج بنيته الدلالية في بنية اجتماعية أكثر شمولاً واتساعاً ، إن المفاهيم والأدوات الإجرائية التي قامت عليها **البنيوية التكوينية** ، جاءت بعد تراكم فكري وفلسفي ونقدي سوسيوولوجي، بدأ منذ المحاولات جهود **أفلاطون وأرسطو** ومناقشات مفهوم المحاكاة، أما في العصر الحديث فقد ربط "**جان بابتست فيكو**" بين النسق الاجتماعي والجنس الأدبي ، وأوضحت "**مدام دي ستال**" علاقات التأثير والتأثر بين الأدب والمؤسسات الاجتماعية، إلى جانب هذا أعمال كل من "**سانت بوف**" و"**هيبوليت تين**" و"**لانسون**"، و"**برونتيير**" التي تدخل ضمن النقد الاجتماعي.

الخلفية

- تعد النظرية **الماركسية** ومنهجها الجدلي إحدى أهم مرتكزات البنيوية التكوينية، ويقر **غولدمان** بالفضل للمقولات **الماركسية** حيث كانت منطلقاً لجل المفاهيم والإجراءات التي طرحتها بنيويته التكوينية، قدم الاتجاه الماركسي في النقد تصورات له للأدب وعلاقاته ونقده، وأهمها الربط جدلياً بين الأدب والبنية التحتية ، حيث يخضع الأدب إلى القوى الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية وأنه لا يمتلك جوهرًا فنيًا أو جماليًا خارج فكرة الانعكاس، أي أن الأدب انعكاس للوعي الاجتماعي الطبقي، أي أنه تعبير عن المصالح والصراعات الطبقيّة .
- تعد المفاهيم والأفكار التي طرحها **جورج لوكاتش** الناقد الماركسي - وأستاذ **لوسيان غولدمان** - مرجعية مركزية للبنيوية التكوينية ، يستند **لوكاتش** على الفلسفة الجدلية الهيغلية والفكر الماركسي ، ويعد كتابه (نظرية الرواية)، أكثر المؤلفات تداولاً عند الدارسين، يشرح فيه الكاتب فكرته الأساسية وفهمه الذي يعكس العلاقة بين الوعي والعالم، بين الذات والموضوع في المجتمع الحديث البرجوازي، في سياق اجتماعي مادي-جدلي.

اكتشف **غولدمان** كتب **لوكاتش** ولعل أهمها كتاب الروح والاشكال 1900، نظرية الرواية 1920، والتاريخ والوعي الطبقي 1923، وقد كانت مصادر ملهمة لتأطير مفاهيم وأسس البنيوية التكوينية.

المصطلح

البنيوية التكوينية هي ترجمة للمصطلح الفرنسي **Le structuralisme génétique** ، يستعير **غولدمان** مصطلح **Le structuralisme génétique** من العالم النفساني والبنوي الفرنسي **جان بياجيه** .

جمع **غولدمان** في بنيويته التكوينية بين الدراسة الداخلية والدراسة الخارجية للنص الأدبي، ينبغي الانتباه إلى أن المسعى الذي بدأه **غولدمان** كان هو البحث عن كيفية تكون العمل الإبداعي (النص الأدبي عموما والروائي بصفة خاصة) داخل المجتمع ، وساقته منهجيته في مسعى البحث عن رؤية العالم إلى تأطير مجموعة من المفاهيم والإجراءات شكلت في مجموعها توجهها منهجيا نقديا يعرف **بالبنيوية التكوينية**، وبهذا يمكننا القول أن البنيوية التكوينية بدأت كنظرية أدبية وانتهت إلى منهج نقدي .

حاول "**غولدمان**" أن يفيد من خلال هذا المنهج الذي يتسم بالشمولية من البنيوية . وهو بذلك لا يهدف إلى الكشف عن البنية الأدبية فحسب ، وإنما عن العلاقات البنيوية بين النص الأدبي ورؤية العالم والتاريخ نفسه، بالكشف عن الكيفية التي تتم بواسطتها عملية تحويل موقف تاريخي لمجموعة اجتماعية إلى بنية عمل أدبي، عن طريق رؤية العالم التي تتبناها هذه المجموعة.

وأشار "**غولدمان**" إلى أن المنهج البنوي التكويني يختلف عن المنهج البنوي الشكلي في تصور كل منهما للبنية، يقول **غولدمان** " تحمل كلمة بنية للأسف انطبعا بالسكون ، ولهذا فهي غير صحيحة تماما ، ويجب ألا نتكلم عن البنى لأنها لا توجد في الحياة الاجتماعية الواقعية إلا نادرا ولفترة وجيزة، وإنما عن عمليات تشكل البنى".

فالبنيوية التكوينية ترى أن البنية ليست كيانا مغلقا، إنها ذات دلالة وظيفية وغير معزولة عن الذات الفاعلة والتاريخ، أما البنيوية الشكلية فإنها تفصل البنية عن الذات والتاريخ وعن كل البنى الاقتصادية والاجتماعية. ويعترف "**غولدمان**" بأهمية وفعالية البنيوية الشكلية كمنهج، لكن مأخذه عليها يتمثل في تعاملها مع

الأدب تعاملًا يستمد أدواته ومفاهيمه الإجرائية من اللسانيات، مما يؤدي إلى اعتبار النص كيانًا لغويًا مغلقًا تتعدم علاقته مع البنية الاقتصادية والاجتماعية.

والبنوية الشكلية في تجاوزها الربط بين البنية والتاريخ والذات الفاعلة، حاولت الابتعاد عن السقوط في الدراسة المضمونية للعمل الأدبي، فدراسة الأشكال في نظرها أهم من دراسة المضامين، وأدى إغفالها للمضمون الأدبي وعوامله المحيطة به إلى أن طعمها "غولدمان" بعلم الاجتماع الأدبي، لكي يربط النص بما حوله.

المنطلقات

بالإضافة إلى ما سبق يجدر بنا أن نذكر بعض المنطلقات الأساسية للبنوية التكوينية التي تكشف عن فهم عميق للعلاقة بين الفن والواقع الاجتماعي، وهي التي حصرها "غولدمان" في أربعة مبادئ:

- 1- إن النتاج الأدبي ليس انعكاسًا بسيطًا للوعي الجماعي الواقعي.
- 2- وهذا يعني أن العلاقة بين الوعي الجمعي والاجتماعي والإبداعات الفردية العظيمة لا تمثلها أصالة المحتوى الأدبي، بل الانسجام والتماثل بين الأبنية الأدبية والأبنية الذهنية العامة للجماعات الاجتماعية أو (أي الطبقات الاجتماعية)، التي يستطيع الوعي الجمعي التعبير عنها في أشكال خيالية متنوعة.
- 3- أن الفرد ليس في مقدوره على الإطلاق أن يضع من تلقاء نفسه بنية فكرية منسجمة تقابل ما يصطلح عليه "رؤية العالم"، فمثل هذه البنية لا يمكنها إلا أن تكون من إبداع الجماعة، والفرد يتمكن فقط من أن يرتفع بها إلى درجة عالية من الانسجام بتحويلها إلى مستوى من الإبداع الفني الجمالي.
- 4- إن الوعي الجماعي ليس حقيقة أولية، ولا هو بحقيقة مستقلة، إنه وعي يتكون ضمنيًا من خلال السلوك العام للأفراد المساهمين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

تركيب

حاول "غولدمان" الربط بين العمل والجماعة، ولكنه لا ينفى دور الكاتب الإبداعي، فهو يرى بأن الأثر الأدبي يعبر عن شخصية الكاتب من ناحية، والجماعة التي ينتمي إليها هذا الكاتب من ناحية أخرى، إن الرؤية للعالم المتماسكة ليست سوى من إنتاج الجماعة، أما المبدع فبإمكانه التعبير عن هذه الرؤية بطريقة خاصة.

